الحالة الصحية والنفسية لجنود الحملة الفرنسية فى مصر

أ. د . إلهام محمد ذهني

أستاذ التاريخ الحديث

كلية الدراسات الإنسانية . جامعة الأزهر

الحالة الصحية والنفسية لجنود الحملة الفرنسية فى مصر

روج الساسة والقناصل والرحالة الفرنسيون لفكرة غزو مصر ولاسيما بعد هزيمة فرنسا في حرب السنوات السبع ١٧٥٦- ١٧٦٣وفقدانها لممتلكاتها في الهند وكندا، وأكدوا جميعاً سهولة عملية الغزو وأن خسائر الفرنسيين فيها ستكون طفيفة وهينة[١].

وقد مهدت أحوال مصر الداخلية لهذا الغزو ففي النصف الأول من القرن الثامن عشر اندلعت الفتن بين الأوجاقات العسكرية ولعل أشهرها النزاع بين إفرنج أحمد زعيم الانكشارية والعزب، وقد سجل هذه الأحداث القنصل الفرنسي بيليرون Peleran[٢] في تقرير إلى حكومته ذكر فيه «لقد عانى الفرنسيون من الحرب الأهلية وتعرض الحي الفرنسي للهجوم عدة مرات ولذلك كان يمضي يوماً بأكمله لا يزورني فيه أحد»[٣].

أما مؤرخنا أحمد شلبي فقد لاحظ آثار الفتنة على سكان القاهرة فكتب «حصل الخوف الشديد لأهل مصر لكونهم لم يروا شيئاً من هذا قبل الآن ولا سمعوا به وقفلت أسواقها وحوانيتها»[٤].

اتسم النصف الثاني من القرن الثامن عشر بظهور البيوتات المملوكية. وبزغ خلال هذه الفترة نجم على بك الكبير الذي نجح في التخلص من منافسيه وضم الحجاز والشام، ولكن خيانة محمد أبو الذهب لم تمكنه من الاستمتاع بمشروعه التوسعي[٥]. ثم قدر لمصر أن يقتسم السلطة فيها كل من مراد بك وإبراهيم بك، ولم تنعم القاهرة والأقاليم بالهدوء خلال فترة حكمهما التي امتدت من (١٧٧٥ حتى ١٧٩٨) انتشرت خلالها الاضطرابات والثورات، ولا يفوتنا هنا أن نذكر رأي فولني Volneyفي مراد بك الذي لم ير فيه سوى جاهل قوقازي على حد وصفه[٦].

واكب اضطراب الأحوال السياسية في مصر تدهور في الأحوال الصحية، ومعاناة المصريين من فيضان النيل الذي أثر على حياتهم، فإذا ارتفعت مياهه اضطر السكان للفرار إلى المناطق المرتفعة، وإذا انخفضت تعرضوا للقحط والمجاعات، وقارن فولني بين المجاعات التي تحدث في مصر والهند مؤكداً أن سكان مصر يتعرضون للموت بسبب المجاعات كما يحدث في البنغال والهند(٧).

وقد انتشرت الأمراض والأوبئة في مصر ولاسيما الرمد الصديدي الذي يسبب العمى. وقد سجل الفرنسيون قبل مجئ الحملة الفرنسية ملاحظاتهم عنه، فعلل الراهب فورمون Fourmont(٧). إصابة أعداد كبيرة من المصريين بسبب الرياح المترية القادمة من الصحراء الغربية، واتفق معه في الرأي الطبيب الفرنسي جرانجيه Granger(٩). مؤكداً أن مناخ مصر المترب والهواء المحمل بالأتربة يشكلان خطورة كبيرة، بينما علل فولني انتشار العمى إلى الحرارة الممتزجة بالرطوبة ونوعية طعام المصريين، من لبن رائب وجبن وعسل وثمار خضراء، مما ينتج عنه اضطرابات في الأمعاء فيتأثر البصر(١٠).

انتشرت في مصر، أمراض الدوسنتاريا والجذام والجرب والحميات والأمراض الصدرية، ولكن ظلت الأوبئة هي مصدر الخطر الرئيسي ولاسيما الجدري الذي كان يفتك بالأرواح في فصل الشتاء وينتقل بالعدوى والغالبية العظمى من ضحاياه كانت من الأطفال وقد أطلق عليه الجبرتي "الحب الإفرنجي"(١١). كما هاجم الطاعون مصر بشراسة عام ١٧٩٠ وكان يفد عليها غالباً من سورية واستانبول، ويبدأ ظهوره عادة في ميناء دمياط وقد حرص الجبرتي على تسجيل مآسي طاعون ١٧٩٠ فعبر عنها بقوله "مات ما لا يحصى من الأطفال والشباب والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمراء»(١٢).

تلك كانت أحوال مصر قبيل مجئ الحملة الفرنسية، وقد رصد أوضاعها الطبيب والضابط الفرنسي أوليفيه Olivier، الذي أوضح لحكومة الإدارة مدى

سهولة الاستيلاء على استحكاماتها من قلاع وحصون، وعلل ذلك بأن مصر «بلا دفاع» مؤكداً أن خسائر الفرنسيين ستكون طفيفة[١٣].

ولكن ما حدث لجنود الحملة الفرنسية في مصر، جاء مخيباً لتوقعات الساسة والعسكريين فلم تكن معاناتهم بسبب المقاومة المصرية وعداء الأهالي فحسب وإنما كانت تنتظرهم مخاطر أخرى لم ينجحوا في التغلب عليها، تمثلت في متاعبهم الصحية والنفسية فلم يكن الغزو نزهة سهلة يتفقدون خلالها ربوع البلاد وإنما كان معاناة متصلة مستمرة لمدة ثلاثة أعوام.

بدأت متاعب الجنود الفرنسيين الصحية في ميناء طولون حيث تجمعت السفن الفرنسية المتجهة إلى مصر، وسجل ديجينيت Desgenettes كبير أطباء الحملة هذه المتاعب " بأن الجنود يعانون معاناة شديدة من دوار البحر"[١٤].

اتجهت الحملة إلى جزيرة مالطة كان الطريق خلالها مبهجاً، عزفت الفرقة العسكرية أجمل الألحان الحربية لإثارة حماس الجنود الفرنسيين الذين قاموا بدورهم بتقديم المسرحيات الهزلية[١٥]، فلم يكن يدور بخلدهم ما سيلاقونه أثناء حملتهم على مصر.

تم الاستيلاء على مالطة بنجاح، ولكن عجز الجنود عن احتمال مناخ الجزيرة القاسي والشمس الحارقة التي الهبت أجسادهم، وعبر الضابط دوجيرو Do-guereau عن ذلك بقوله "مناخ الجزيرة قاس وحرها لا يطاق"[١٦]. أما ديجينيت فقد أحصى الأمراض المتعددة التي أصيب بها الجنود من ارتفاع في درجات الحرارة وزيادة معدلات الإصابة بالدوسنتاريا والإسهال والتهابات الصدور، على الرغم من كل الجهود الطبية التي بذلت وإقامة مستشفى لاستقبال وإسعاف الحالات الحرجة[١٧].

ورغم الإعجاب الذي أبداه دوجيرو لمنازل مالطة والتي قدم وصفاً عنها وعن شرفاتها الواسعة وحرصه على تدوين ملاحظاته عن أهم المحاصيل في الجزيرة كالقطن والبرتقال والتين إلا أنه أكد أن رغم كل ما تتمتع به هذه الجزيرة من

مـزايا إلا أن الحيـاة لا تطاق فيهـا بسبب حـرارتهـا التي عـجـز الفـرنسيـون عن احتمالها[١٨].

متاعب الجنود الفرنسيين الصحية في الوجه البحري والقاهرة:

نزلت القوات الفرنسية غرب الأسكندرية، وسجل دوجيرو ذلك بقوله " نزلنا في غرب أفريقيا" واستُقبل ماجالون قادة الحملة بحفاوة وترحيب لم يدم طويلاً لقيـام العـربان بعـدة هجـمـات مـوجـعـة[١٩]. ولكن كـانـت لدغـات العـقـارب في الصحـراء أشد فتكاً، ووصفـها ديجنيت بالمؤلمة والخطيـرة والقاتلة، وقارن بين حجمها في مصر عن مثيـلاتها في فـرنسـا، فوجد أنها في الأولى أكبر حجماً وأشد شراسة وأبدى تعاطفه مع جنود برتييه Berthier ضحايا العقارب[٢٠].

وفي برج العـرب واصل العـربان هجـمـاتهم على الخطوط الخلفيـة لقـوات الحملة فتم ذبح العديد من الجنود ولذلك صدرت الأوامر بالتجمع والسير في مجموعات وبدأ تقدم الفرنسيين تحت شمس حارقة وحر لا يطاق وغذاء محدود فشعروا بالجوع والعطش[٢١]. واستنفروا احتياط البحرية لتغذية الجيش المتقدم في الصحراء[٢٢].

باقـتـراب الحـملة من أسـوار الأسـكندرية انتـابت بعض الجنود حـالة نفـسيـة سيئة، فأصيبوا بالذعر والفزع لتكرار هجمات العربان عليهم وفضل البعض منهم الفرار[٢٣]. وأدرك الفرنسيون أثناء مرورهم في منطقة الساحل الصحراوي قسوة المناخ وعداء البدو، وفهموا أن اقامتهم في مصر ستكون أقل راحة وهناء عما كانوا يتوقعون ومما كانوا عليه في إيطاليا من قبل أثناء حملة بونابرت عليها[٢٤].

وصلت القـوات إلى الأسكندرية وكـان المـوقف ينذر بكارثة ، فـالأسطول الفرنسي استهلك ما لديه من خبز وغذاء يومي مما هدد طاقمه بكارثة، ولم يكن الاستيلاء على المدينة سهلاً وميسرا حيث دافع المصريون عن مدينتهم بشراسة وبسالة مما أدى إلى إصابة القائدين مينو Menou وكليبر Kleber وقتل عدد آخر من الضباط[٢٥].

عين بونابرت، كليبر حاكماً على الأسكندرية، وكانت مهمته شاقة لأن سواحل الأسكندرية محاصرة بالسفن الإنجليزية، مما ترتب عليه تعطيل التجارة وعجز كليبر عن دفع مرتبات الجنود الفرنسيين الذين شعروا بالكراهية الشديدة للمصريين ،لاستمرار المقاومة ومطاردة الجنود في الشوارع وإلقاء الحجارة عليهم وأصيب بعض الجنود بحالات نفسية فقام البعض منهم باقتلاع أشجار النخيل انتقاماً من المصريين. ثم تفاقمت الأوضاع في الأسكندرية أثناء زحف باقي القوات على المدن المصرية، فانتشر الطاعون في المدينة في ديسمبر عام ١٧٩٨ [٢٦]. كما ازداد الوضع الغذائي سوءا فطلب المارشال مارمون Marmont العون من مينو في رشيد لإرسال المؤن اللازمة فكتب إليه يقول " لا تتخل عنا ، أرسل إلينا المال ، إن الجميع يعانون من البؤس ارسل إلينا قمحاً لا نملك مالا ، إن الجنود يموتون جوعا»[٢٧].

كان هذا ما عاناه الفرنسيون في الأسكندرية، تلك المدينة التي طالما سجلوا إعجابهم بها قبل مجئ الحملة فتشوق الجنود لرؤيتها فهي المدينة التجارية ذات المكانة الكبيرة[٢٨]. ولكنهم لم يجدوا فيها سوى المقاومة والكراهية لهم والجوع والمرض.

كانت الخطوة التالية بعد الاستيلاء على الأسكندرية ، هي التقدم نحو البحيرة التي تمثل خط الدفاع الشمالي الغربي عن مصر، فالاستيلاء عليها يمهد الطريق سريعاً إلى القاهرة.

أراد بونابرت تأمين سير الحملة حتى البحيرة ، فحاول الاتفاق مع شيوخ قبائل الهنادى وأولاد على ، أن يقوموا بإمداد الحملة بعدد من الجمال والخيول ولكنهم تقاعسوا عن تنفيذ هذه المطالب بسبب دعوة الجهاد التي أطلقها علماء الأزهر في القاهرة[٢٩].

خطط بونابرت للتقدم صوب البحيرة، عن طريقين، الأول من الأسكندرية إلى رشيد براً على ساحل البحر ثم من رشيد إلى القاهرة على شاطئ النيل،

والثاني من الأسكندرية إلى الرحمانية بطريق دمنهور مخترقا الصحراء ثم من الرحمانية إلى القاهرة على البر الغربي للنيل ، ولكنه اختار الطريق الثاني الذي يمر بدمنهور رغم أنه كان أكثر مشقة ووعورة من الطريق الأول وخصص بعض الفرق للزحف على القاهرة عن طريق دمنهور واحتلال رشيد لتلتقي في الرحمانية وكلف الجزال مينو بالاستيلاء على الأخيرة[٣٠].

كان الطريق إلى القاهرة عبر البحيرة شاقا، اجمعت المصادر الفرنسية وشهود العيان منهم على معاناة الجنود أثناء اجتيازهم ما أطلقوا عليه صحراء الأسكندرية للوصول إلى البحيرة، فقد عجزت الخيول عن السير وقلت أعداد الدواب وقام العربان بإخفاء الجمال أضف إلى ذلك حرارة الشمس حيث وصلت الحملة اثناء فصل الصيف الحار. كما أن الأهالي لجأوا إلى حيلة أرهقت الفرنسيين ألا وهي ردم آبار المياه[٣١]. فماتت أعداد كثيرة منهم وفضل البعض الآخر الانتحار على الموت عطشاً وتعددت هذه الحوادث[٣٢]. وكتب ديجينيت "ألهبت الشمس رءوس الجنود الذين عانوا من عدوين ، الصحراء بلهيبها والعربان بهجماتهم المتكررة»[٣٣]. فلم يكن يدور بخلدهم إنهم سيموتون عطشا في مصر بلد النيل الذي طالما سجلوا عنه أجمل العبارات قبل مجئ الحملة.

تجدر الإشارة أنه عند الحديث عن متاعب الفرنسيين ينبغي علينا ألا نغفل رد فعلهم تجاه المقاومة ، فقد قاموا بقتل من قاومهم من المصريين ساعدهم على ذلك امتلاكهم للأسلحة الحديثة بالمقارنة بأسلحة الأهالي البدائية ، وتعددت حوادث اعتداءتهم على السكان بعنف وقسوة حتى اضطر برتيبيه لإصدار أمر في يوليو ١٧٩٨، يذكر فيه الجنود بأن الجيش الفرنسي قدم إلى البلاد ليحارب المماليك لا الأهالي ، حاول الفرنسيون تبرير أعمالهم الوحشية بأنها بسبب الأعياء وحرارة الجو وشعورهم بخيبة الأمل لاشتداد المقاومة ، واعتقادهم أن مصر من أغنى بلاد العالم فلم يجدوا خلال هذه الفترة سوى الصحراء[٣٤].

أثناء تقدم الجنود إلى منطقة آبار البيضة ، كان الخبز الجاف هو الغذاء الوحيد لهم وقد حاول ديزيه Desaix تشجيعهم على مواصلة السير فبشرهم بوجود المياه الوفيرة عند الآبار والتي لا تبعد عنهم سوى عدة أميال ، ولكن خاب ظنهم جميعاً فقد تبين أن الأهالي قاموا بردمها فنضبت مياهها ، وكتب ديزيه إلى بونابرت بأن الجنود في حالة سيئة جداً واستنجد به لإرسال المؤنة والمياه للخروج مما أسماه الموقف الشنيع فلم يكن لديه ما يكفيه من المياه ليطفىء ظمأ ألف رجل على حد قوله(٣٥).

ثم اقتفى الجنرال رينيه خطى ديزيه ، ووصل إلى آبار البيضة وساءت حالة جنوده النفسية ، لأن الآبار أصبحت جافة بينما امتلأت حلوقهم بتراب الصحراء وكوت الرمال أقدامهم وأصيب البعض منهم بحالات جنون ولاسيما عندما تبين لهم أنهم يشاهدون سراباً في الصحراء وقتل الجنود أنفسهم رمياً بالرصاص ، واقتتل البعض منهم على شربة ماء قذر، وطلب رينيه من بونابرت إسعافه بالأدوية والنقالات ، وكتب بونابرت في مذكراته ، في سانت هيلانه ، أن الجيش الفرنسي كان مصابا بمزاج سوداوي وانتحر الجنود وألقوا بأنفسهم في النيل حتى يموتوا موتاً سريعاً ونفد احتياطي الغذاء وأصبحت خزانات المياه خاوية وتراكم الوحل داخلها وظلت هذه المعاناة حتى وصلت القوات إلى بئر الكريون فرقصوا فرحا عندما وجدوا فيها المياه الوفيرة(٣٦).

وصلت القوات الفرنسية إلى دمنهور واستولت عليها فوجدت فيها الخبز واللحوم والدجاج والبقول بوفرة، وازدحمت الأسواق بالجنود يشترون ما يحتاجون إليه ويدفعون مقابل ذلك أزرار ملابسهم العسكرية التي أعجب بها المصريون ، ونظراً لتوفر الطعام في المدينة أرسل بونابرت عدة وحدات لجلب التموين للجيش ، وبوصول الجنود إلى الرحمانية ألقوا بأنفسهم في النهر كالحيوانات ، على حد وصف الكاتب سافاري ، " فنزلوا بملابسهم وسلاحهم وبعضهم خلعوا ملابسهم وغطسوا لساعات طويلة في المياه" (٣٧).

أثناء تقدم الفرنسيين إلى شبراخيت ، أمر نابليون بأن تعزف الموسيقى نشيد المارسيليز لتلهب حماس الجنود ، ودارات المعركة البرية وتم الانتصار على جيش مراد بك الذي تبين مدى ضعفه ، كذلك التحمت سفن الفريقين في معركة حامية احترقت خلالها سفن المماليك ورغم انتصار الفرنسيين إلا أن الأهالي ظلوا يطلقون النيران عليهم(٣٨). ولم يتوقف العربان عن ملاحقة خطوطهم الخلفية بينما ازدادت شراسة الفرنسيين فأخذوا ينهبون القرى لقلة المئونه لديهم واندفعوا إلى حقول البطيخ الذي أصبح الغذاء الرئيسي لهم ، واستمرت عمليات مصادرة الماشية وتخريب القرى ، فلجأ السكان إلى هجر قراهم مصطحبين معهم الماشية والأبقار فخلت القرى من الزاد(٣٩). واستمرت عمليات سلب ونهب القرى في الطرانة واعترف بذلك الكابتن سافاري فسجل «صادرنا المواشي ونهب الجنود القرية»(٤٠).

تجدر الإشارة أنه على الرغم من الاستيلاء على رشيد وتعيين مينو حاكماً عليها إلا أنه ظل يعاني بدوره من نقص الامدادات ، فكتب إلى برتييه رسالة أوضح فيها هذا العجز فهو على حد قوله لا يملك أراض زراعية للإفادة منها كما أن تغذية القوات تحتاج إلى نفقات يومية ، وأضاف أنه يفضل القتال على البقاء في رشيد لجمع الضرائب وعلل تلك الرغبة بقوله جئت مصر لتحقيق المجد(٤١).

ما دون عن رشيد أثناء الحملة ، يختلف تماماً عما سجله سونيني Sonnini قبل ذلك بسنوات قليلة فقد وصف سكانها بالوداعة الهدوء ، لأن رشيد مدينة هادئة لا تعرف الثورات ولا الفوضى يتجول فيها الأوروبي بحرية تامة ، وبلغ من إعجابه بالمدينة ما أورده من مقتطفات مما كتبه كل من الإدريسي وبطليموس وسترابون عنها ، وفي النهاية وصفها سونيني بأنها حديقة مصر(٤٢). ولا ننكر أن علماء الحملة قدموا وصفاً جميلاً عن رشيد ، ولاسيما جولو ، الذي سجل بأن العين تشعر بالارتياح والإعجاب عند النظر للحقول التي يغطيها الأرز ، فتشكل واحداً من أجمل المشاهد(٤٣).

رغم الاستعدادات للزحف نحو القاهرة ، ظلت البحيرة مركز إمداد القوات الفرنسية بالقمح والأرز وشهدت بولاق نشاطاً كبيراً في استقبال المراكب المحملة بالمؤن والماشية[٤٤].

كان الطريق شاقاً طويلاً إلى القاهرة فالمياه قليلة والمئون بسيطة ، تزايدت خلاله ضربات الشمس والرياح الساخنة ثم جاءت كارثة انخفاض مياه النيل لتضاعف من معاناة الفرنسيين حتى اضطر الجنود لشرب الخل لمواجهة ما يتعرضون له [٤٥].

وفي إمبابه منى المماليك بهزيمة فادحة ، واهتم بونابرت بإقامة مستشفى بالجيزة في منزل مراد بك ، للمرضى من الجنود الذين أصيبوا بالرمد الحبيبي والدوسنتاريا[٤٦]. كما أقام في القاهرة أجمل المستشفيات في منازل المماليك الفارين ، وسجل الفرنسيون إعجابهم بحمامات القاهرة فهي من أجمل الوسائل للمحافظة على الصحة العامة والقضاء على الأمراض ، وقد أخذ الجنود يلقون بأنفسهم ليلاً في مياه النيل وبركة الفيل لترطيب أجسادهم من حر النهار[٤٧].

اتخذت الإجراءات الصحية في القاهرة لمواجهة الأمراض ، ولاسيما الرمد الذي سبب العمى المؤقت للجنود ، كما أصيبت أعداد كبيرة منهم بالدوسنتاريا ، وهدد الطاعون الجيش فتم انشاء حجر صحي في المدن الكبرى والموانئ ، وتم توقيع عقوبات صارمة بشأن مخالفة الشروط الصحية وأقيمت ثلاثة مستشفيات عسكرية واحدة في القلعة واثنتان عند مدخل الحي الأوروبي[٤٨].

أشار دوبوي Dupuy إلى أن الإجراءات الصحية التي قام بها بونابرت أدت إلى غضب الأهالي ولاسيما أنه منع دفن الموتى في جبانتي الأزبكية والرويمي، القريبتين من الحي الذي يسكنه الفرنسيون ، كما أمر بهدم المقابر ونشر الثياب والفرش والأمتعة على الأسطح وتبخير المنازل خشية انتشار الطاعون وكلف رجلين وامرأة للتفتيش على كل حارة[٤٩]. وتشير الوثائق الفرنسية إلى أنه تم اتخاذ كافة الإجراءات الصحية في القاهرة حتى نهاية أغسطس ١٧٩٨[٥٠].

وعندما أسس بونابرت المجمع العلمي ، حرص على أن يضم الأطباء والصيادلة مثل ديجينيت والجراح لاريه Larrey، وأنشأ حجراً صحياً في الروضة وبني عدة مستشفيات عسكرية، وأنشأ لجنة للإشراف على الشئون الصحية والمحاجر فى مصر القديمة وبولاق والأسكندرية ورشيد وبلبيس والطرانة[٥١]. ولم يكتف أطباء الحملة بمعالجة المرضى وإنما قاموا بإجراء الأبحاث والدراسات عن الأمراض في مصر ، نذكر من بينهم برويو Bruaut الذي دون ملاحظاته عن الرمد والدوسنتاريا كما قدم بربيه Barbes ملاحظاته عن مستشفى مصر القديمة ، وقدم الطبيب فرنك Frank وصفاً لمرض الدوسنتاريا وعلل انتشاره لحرارة الجو في مصر ، كما أولى لاريه اهتماماً بأمراض النساء ، واللافت للنظر أن أطباء الحملة حذروا الجنود من احتساء القهوة مع وضع الحشيش والأفيون فيها وصدرت الأوامر بأغلاق المقاهي التي تقدم لروادها القهوة مع الحشيش[٥٢].

أما ديجينيت ، كبير أطباء الحملة ، فقد قام بعدة دراسات عن الأمراض الجلدية وانتشار الحميات في مصر ونصح الجنود بشرب المياه بكثرة اتقاء للإصابة ، وكان الغرض من كل هذه الدراسات هو معالجة الجنود ، كما ألف رسالة عن مرض الجدري[٥٣].

سجل الأطباء ملاحظاتهم عن درجات الحرارة في المدن المصرية في القاهرة والأسكندرية ودمياط وبلبيس ، كما قاموا بعمل دراسات عن الهواء والرياح في مصر[٥٤].

هذا الاهتمام الشديد بالشئون الصحية في مصر ، ودراسة سبل الوقاية من الأمراض لم يمنع الفرنسيين من مشاركة المصريين في بعض الأحيان الاحتفال بأعيادهم ، فتناولوا أهم وأشهى أنواع المأكولات ، ولاسيما أثناء الاحتفال بالمولد النبوي حيث مد السماط على الأرض وتناولوا الدجاج المشوي والفطائر واللحوم واحتسوا القهوة ودخنوا الشيشة وشربوا ماء الورد[٥٥].

رغم كل الإجراءات الصحية التي اتخذت إلا أن الجنود الفرنسيين أصيبوا بالعديد من الأمراض ولاسيما الطاعون ، وكلف لاريه ببحث سبل العلاج منه ، كما أصيبوا بالدوسنتاريا والرمد الحبيبي وارتفعت معدلات الإصابة في الوجهين البحري والقبلي، كما تعددت الإصابة بمرضى الزهري والسيلان ، وكتب دوجا إلى بونابرت في عام ١٧٩٩ " لابد من إبعاد البغايا عن الثكنات"[٥٦]. وللتخفيف عن حالة الجنود النفسية أمر بونابرت بتنظيم مسرحيات للهواة وأقام مستشفيات للنقاهة وأمر أن تقف فرق الموسيقى ظهر كل يوم أمام المستشفيات العسكرية لعزف الألحان وفي نهاية عام ١٧٩٩ سمح بونابرت بإقامة نادي للقوات المسلحة سمي التيفولي ، تذكيرا بملهى شعبي في باريس كان يقدم فرقة للموسيقى الراقصة وموائد للبلياردو وغيره من الألعاب ومكتبة للصحيفتين اللتين يصدرهما الجيش كما ضم فيه حديقة ملاهي[٥٧].

جاءت كارثة أبي قير لتزيد من خسائر الفرنسيين ، فقامت الثورات في مصر وأصبحت المواصلات مهددة بين الأسكندرية والقاهرة، وقطع أهالي البحيرة ترعة الأسكندرية ليمنعوا وصول المياه العذبة إليها[٥٨].

وتزايدت الكوارث على الجنود الفرنسيين لانقطاع رسائل ذويهم بسبب حصار السفن البريطانية ، كما أصيب البعض منهم بالجنون لانقطاع مواصلاتهم مع وطنهم الأم فرنسا وعبر كليبر عن ذلك بقوله "وضعنا حرج وعسير"[٥٩]. وكتب القائد البريطاني نلسن للسير وليم هاملتون عن قوات بونابرت أن هذا الجيش في مأزق حرج لن ينجو منه[٦٠].

رغم انتشار الاضطرابات في مصر ، واصل بونابرت اهتمامه بمتابعة حالة الجنود الصحية وأمر بإرسال التقارير عنهم[٦١]. وامتدت هذه الاضطرابات إلى بلبيس وأبي زعبل والخانكة ، حيث منع المصريون الغذاء عن الجنود ، واشتعل الوجه البحري ثورة لإصرار القوات الفرنسية على مصادرة الحبوب والغلال ، ولجأ الفلاحون في الشرقية إلى الفرار من قراهم ورفضوا العودة ، رغم

محاولات رينيه بث الطمأنينة في نفوسهم ، ولكنهم تمسكوا بموقفهم ولذلك طالت معاناة الفرنسيين من نقص الإمدادات في الشرقية والصالحية أضف إلى ذلك هجمات العربان التي لا تنقطع(٦٢).

وقد ظل مينو يستغيث بالقيادة في مصر "الفلاحون سرقونا وسرقوا ملابسنا ومؤنتنا ومعسكرنا أننا نعاني الكثير في هذه المناطق»(٦٣). وقد واكب هذه الاضطرابات انتشار الأمراض في المنصورة وإصابة عدد كبير من الجنود بالحمى(٦٤).

ونظراً لانتشار الطاعون أصدر بونابرت أمراً بمعاقبة الأطباء الفرنسيين الذين يرفضون مخالطة الجنود المصابين بالجروح ويشكون مرضاً معدياً ، كما أمر بإطلاق النار على خدم المستشفيات الذين رفضوا معالجة المرضى وأمر الجنود بالاغتسال في البحر وغسل ثيابهم ومراعاة أصول النظافة ، بسبب انتشار الطاعون الدملي(٦٥).

وقد مثلت دمياط أكبر مصدراً للحمى وامتلأت المستشفيات العسكرية بالمرضى الذين يعانون الطاعون والرمد ، واتخذ مدير المركز الطبي فيها جميع الاحتياطات والتدابير الصحية لمنع انتشار الأمراض ، و أصيبت أعداد كبيرة من الجنود بالحمى التي كانت من أكبر الأخطار التي هددت صحة الجنود في الصيف كما عانوا في الشتاء من أمراض الجهاز التنفسى(٦٦).

تعددت شكاوي الفرنسيين في مراسلاتهم ، فمن رشيد ، ورغم إنشاء مستشفى يتسع لنحو مائتي سرير للجرحى والمرضى ، لم يتوقف مينو عن الشكوى بسبب تدهور أحوال جنوده وبأنه يواجه صعوبة شديدة للحصول على الأرز(٦٧). ومن المنصورة يستغيث فيال Vialلسؤ حالة الجنود الصحية(٦٨).

يتضح مما سبق أن مراسلات القادة الفرنسيين تعكس ضعف موقفهم وشعورهم بالخوف من نقص الامدادات والجوع بسبب تفشي الأمراض والأوبئة ، فهم محاصرون في الدلتا وعليهم بناء الاستحكامات والقلاع ومواجهة الأمراض ،

وعلاج مشكلة المستشفيات المكتظة، أضف إلى ذلك إصابة الجنود بالحالات النفسية وتزايد عمليات الانتحار ورغم كل هذه المصاعب ظلوا ينكلون بالمصريين.

معاناة الجنود في صعيد مصر :

مثل الصعيد أهمية كبيرة للفرنسيين لتأمين وجودهم في مصر وللقضاء على المماليك وإتمام الغزو العسكري ، وبينما غزت القوات الفرنسية الوجه البحري كان ديزيه يتوغل بقواته جنوباً في صعيد مصر ولم تكن مهمته سهلة وميسرة فقد اضطر في كثير من الأحيان للتوقف انتظاراً لوصول المدد والمؤنة من القاهرة(٦٩).

تعقب الفرنسيون المماليك في الفيوم وبني سويف حتى أسيوط وظلوا يقومون بعمليات تمشيط يقطعون النهر صعوداً وهبوطاً وكلما تعمقوا جنوباً كلما طالت المسافة بينهم وبين القاهرة واضطرتهم كارثة انخفاض مياه النيل في تلك الفترة للنزول إلى الشاطئ وسحب سفنهم بالحبال(٧٠).

تناقصت أعداد الفرنسيين بسبب الأمراض والحرارة وحرب العصابات التي شنها عليهم المماليك والعربان ، وقد حاولت قوات مراد بك استدراج الجنود الفرنسيين نحو الصحراء وإبعادهم عن نهر النيل ليهلكوا ولكن ديزيه فطن للخطة وقرر عدم ابتعاد أسطوله النهري(٧١).

نهب الفرنسيون المدن والقرى التي مروا بها للحصول على الغلال والبقول فكتب بوييه Boyer إلى بونابرت يقول «رغم تدعيم مركز الفرنسيين في بني سويف والفيوم إلا أنه بقيت أمامنا مشكلة الحصول على الغلال والخيول»(٧٢).

أنهك الصعيد الجنود الفرنسيين بسبب الاضطرابات والثورات وطبيعته الجغرافية ومسالكه الوعرة ، وقد أشارت الوثائق إلى المراسلات التي كانت بين ديزيه وقواته في الصعيد وبين بونابرت ، طالباً النجدة والعون والمدد ، فكتب في مايو١٧٩٩" إننا محاطون بالأعداء، المواصلات مقطوعة لا نستطيع تشتيت

أعدائنا أننا في حاجة إلى الجنود "[٧٣]. بينما رأى ديجنيت أن المرض كان العدو الحقيقي الذي هدد جنود الحملة[٧٤].

استمر الجنود الفرنسيون في مطاردة المماليك حتى الشلالات ، وتزايد الموقف خطورة بانضمام الهوارة والبقوشه إلى المقاومة ، وكتب الجنرال دافو أن الجميع كانوا يحملون السلاح ، إن الفرنسيين يشعرون أنهم في بلد يكرههم كل الكره ويعاديهم ، كما كتب بليار " أن كل القرى التي نجتازها نجدها خالية من السكان ، لأنهم يخلون قراهم قبل أن نصل إليها ". كما استاء ديزيه مما أسماه المقاطعة السلبية من أهل الصعيد فذكر " أننا نعيش هنا عيشة ضنكاً فإن جميع القرى تفر من السكان كلما اقتربنا منها ولا نجد فيها شيئاً من القوت ولا نرى فلاحاً واحداً يدلنا أو يأتينا بالأخبار ويحمل رسائلنا " وشكا دونزلو إلى الجنرال برتييه " إذا لم ترسلوا الأدوية إلينا فإن مرضانا الذين يزداد عددهم كل يوم سيموتون من البؤس والعذاب". وكتب ديزيه إلى بونابرت " إنني أطلب الذخائر من القاهرة فقد نفدت ذخائرنا" كما قدم وصفاً لجنوده" إننا نسير بلا انقطاع وقد ساءت حال الجنود في ملابسهم وأحذيتهم لم نستطع للآن أن نجمع إلا النزر اليسير من الميري" ومن قوص استغاث " كأننا في أقصى الدنيا حالتنا محزنة الملاحة في النيل تكتنفها الأخطار"[٧٥].

استمر توغل القوات الفرنسية حتى أسوان وجزيرة فيله ثم احتلت القصير مفتاح الوجه القبلي ولم يجد نفعاً هذا التوغل وهذا الانتشار أمام الجوع والعطش والمقاومة[٧٦].

صور الفنان فيفيان دنيون Vivant Denon بلوحاته التي رسمها أثناء توغله مع القوات الفرنسية في الصعيد ، معاناة الجنود وكانت رسوماته شاهداً على المعارك التي خاضتها القوات الفرنسية ضد المصريين[٧٧]. ولا جدال أن المعاناة كانت أكبر وأخطر في الصعيد فهذه هي مدن الوجه القبلي التي طالما أشاد الفرنسيون بآثارها الرائعة ومعابدها وسجلوا إعجابهم وانبهارهم بها قبل

مجئ الحملة تثور عليهم وتنتقم منهم[٧٨].

الحملة على الشام وآثارها الصحية :

كانت حملة الشام كارثة للفرنسيين، عانوا خلالها من عدم استقرار المناخ من منطقة إلى أخرى، فالمناطق المحيطة بالبحر المتوسط تتسم بالحرارة والرطوبة بينما كانت المناطق الوسطى أفضل ملائمة صحياً ولكنها جبلية وعرة أما المناطق الشرقية فقد غلبت عليها الحرارة الشديدة ، وقد قدم مينو وصفاً عن هذا المناخ فذكر، أن الطقس خلال حملة الشام كان مؤلماً قاسياً على الفرنسيين ، شديد البرودة في الشتاء شديد الحرارة في الصيف ، رمال ساخنة تلهب أقدام الجنود وكأنهم يسيرون فوق لهيب من النار أضف إلى ذلك المقاومة المستميتة التي أبداها السكان الذين وصفهم مينو بالبرابرة وشعر بالضيق الشديد منهم لأنهم أظهروا للفرنسيين الاحتقار على حد وصفه[٧٩].

تجمعت القوات الفرنسية في القطية متجهة إلى حصن العريش ، وصور ريبو عدم قدرة الجنود على احتمال حرارة الشمس ومعاناتهم من العطش ولذلك تم وضع مركز للأسعاف في المنطقة تحت إشراف الجراح أندريه وزودت الخطوط الخلفية للجيش بمراكز إسعاف لسرعة نقل الجرحى خوفاً من الهجمات الانتقامية التي يمكن أن يقوم بها العربان وتم تخصيص خمسين جملا لنقل الجرحى[٨٠].

وفي العريش عاني الجنود من نقص الغذاء وأثناء الحصار ساءت حالتهم النفسية لأن المماليك قطعوا الطريق عليهم بين العريش والقطية فشعروا أنهم محاصرون وعقد ريبو مقارنة بين أحوال الجنود الفرنسيين والعربان فوجد أنهم أفضل حالاً لأنهم قادرون على تحمل حرارة الشمس وطقسها القاسي بينما الفرنسيون عاجزون عن السير تمزقت ملابسهم ولا يجدون الطعام الكافي وانتشرت الدوسنتاريا والطاعون بهم[٨١].

وبسبب سقوط الأمطار والرطوبة الشديدة أصيب العشرات من الجنود

بالأمراض الصدرية والرئوية ثم ظهرت مشكلة أخرى أمام الفرنسيين ألا وهي عدم وجود أماكن لعلاج الجرحى ولذلك أضطروا لاستخدام ردهات القلعة لاسعافهم(٨٢).

ونتيجة لانقطاع المدد سادت الفوضى واضطر الجنود لأكل لحوم الجمال والحمير وأفادوا من انتشار أشجار النخيل فكان البلح هو الغذاء الرئيسي لهم(٨٣).

وعند وصول القوات إلى غزة طلب القائد توزار Touzard إلى الضباط بضرورة الاهتمام بالصحة العامة، كما طلب من رؤساء المستشفيات العسكرية رفع جثث المماليك والحيوانات منعاً لانتشار الأمراض وتأمين التجارة وطرق المواصلات للحصول على الغذاء الكافي كما أصدر أوامره بتجنب الاتصال بالمناطق الموبوءة(٨٤).

وفي يافا أقدم الفرنسيون على مجزرة بشرية مروعة حيث قاموا بإعدام أكثر من ثلاثة آلاف أسير للتخلص من مشكلة تغذيتهم نظراً لعدم توفر الطعام، وبسبب الإسراف في عمليات القتل وترك الجثث في العراء انتشر الطاعون وسجل ديجنيت أسفه لهذا العمل ونتائجه الصحية الخطيرة بقوله إن الطاعون قضى على خيرة الرجال. وعندما علم بونابرت بتفشى الوباء قام بعدة زيارات للمرضى والمستشفيات للإطمئنان على سلامة الإجراءات الصحية(٨٥).

وأمام عكا انهزم جيش بونابرت واضطر للعودة إلى مصر.

بعد عودة حملة الشام بحث المجمع العلمي الأحوال الصحية، وسعى بونابرت لتجديد ملابس الجنود واستخدام المنسوجات القطنية والجوخ في صناعتها(٨٧)، لأنها لم تكن ملاءمة لجو مصر ومناخها الصحراوي، فقد اضطر الجنود للسير بملابسهم العسكرية، وأحذيتهم الثقيلة في الصحراء والمناطق الوعرة مما زاد من معاناتهم ولذلك استبدلت تلك الملابس بالأقمشة المصرية(٨٨).

رحيل بونابرت وتفاقم الوضع الصحي :

رحل بونابرت إلى فرنسا ، وتسلم كليبر السلطة وظلت المشكلة الرئيسية التي أرقت الفرنسيين ، هي نقص الأمدادات والمؤن ، فلجأ إلى فرض الضرائب لسد العجز وشراء مستلزمات الجيش.

شعر كليبر أنه في مأزق لا يحسد عليه، فالجيش في حاجة إلى الإمدادات وعليه إنشاء المواقع الحصينة وسداد مرتبات الجند بانتظام بينما سواحل الأسكندرية محاصرة، والمصريون لا يكفون عن مهاجمة السفن والمراكب الفرنسية النيلية التي تنقل الغلال في النيل ، واستخدموا خشبها في التدفئة بينما كف الموردون الأوربيون والمصريون عن بيع الأغذية التي يستهلكها الجيش الفرنسي في مصر بسبب خسارتهم المالية ، وظل سلاح الفرسان يشكو من نقص الشعير والتبن اللازم لتغذية الخيول أضف إلى كل هذه المتاعب آثار فيضان النيل المدمر(٨٨). وكادت المستشفيات أن تتوقف عن العمل وأصبحت المحاجر الصحية في حالة يرثى لها مما جعل تدابير الحجر الصحي تذهب سدى ، وكانت الوسيلة الوحيدة لمواجهة الطاعون هي انسحاب الجيش من المناطق الموبؤه فوراً ، وظلت الدوسنتاريا وأمراض العيون من أهم الاخطار التي هددت صحة الجنود الفرنسيين(٨٩).

كان كليبر من أنصار الانسحاب من مصر ، عبر عن رأيه لديزيه في رسالة كتب فيها " لا أريد اغتيال بقية هذه الحملة الفاشلة سواء كان اللوم أو الثناء في انتظاري ويكفي راحة الضمير»(٩٠).

يتضح مما سبق أن كليبر كان يدرك تماماً تحرج موقف الحملة، فكتب إلى حكومة بلاده بأنه لا يملك الأسلحة اللازمة لاستخدامها ضد المصريين الذين يصرون على مهاجمة قواته(٩١).

وافق كلبير على مفاوضات العريش وأعلن الخبر لقواته يبشرهم بالانسحاب من مصر بسبب المشكلات المسكرية وصعوبة حشد القوات في مواجهة بكوات

المماليك والقوات العثمانية مع الضعف المتواصل للجيش الذي لم يعد يتلقى التعزيزات وانقطعت المواصلات بين الوجهين البحري والقبلي[٩٢].

اعتقد بونابرت أن كليبر يتعمد إرسال تقارير غير صحيحة عن نقص العتاد والمؤن ، وعبر عن ذلك بقوله "لا يوجد دليل على معاناة الفرنسيين " بينما أكد ريبو هذه المصاعب بقوله " لا يوجد جندي ولا ضابط ولا جنرال لا يتمنى العودة إلى فرنسا لأنهم يشعرون بأنهم ضحوا بحياتهم بلا فائدة»[٩٣].

ثم اغتيل كليبر على يد سليمان الحلبي فجاء اغتياله صدمة كبيرة للفرنسيين.

تولى مينو إدارة الحملة بعد مقتل كليبر ، وكان من أشد القواد تعصباً للاستعمار وتطبيق سياسة الإدماج (الفرنسة) وكانت البداية غير مرضية، إذ قام بتنحية القادة العسكريين المقربين من كليبر وأعادهم إلى فرنسا وكانت أماني مينو واضحة أن تصبح مصر قطعة من فرنسا ، فبدأ بتنظيم الأحياء وهدم أحياء كاملة لإقامة شوارع متسعة فسيحه ، كما أمر بقيد المواليد والوفيات وشدد على الإجراءات الصحية. ولكن رغم كل ما اتخذه من تدابير إلا أنها لم تأت بالنتائج المرجوة ، فحتى منتصف عام ١٨٠٠ لم تصل النجدات إلى مصر ، ولم يف بونابرت بوعوده وإنما اكتفى بإرسال عدة سفن تحمل الرسائل والصحف والكتب والخمور والدواء والذخيرة ، ولكن في يناير ١٨٠١ تغير الوضع قليلاً فتم إرسال عدة سفن لتعزيز موقف القوات الفرنسية فوصل إلى الأسكندرية قرابة ألف جندي ، وكان السبب هو التغير الذي طرأ على مركز فرنسا الحربي والسياسي في أوروبا فقد أوقعت الهزائم بالنمسا واضطرتها لعقد صلح معها[٩٤].

ولكن هذا المدد كان مؤقتاً لفترة محدودة ، وحاول مينو التغلب على مشكلة نقص الحبوب والغلال فأنشأ عدة مخازن لتخزين الحبوب والشعير فى الأسكندرية والرحمانية غير أنها لم تعد تكفي سوى ثلاثة أشهر واضطر الفرنسيون لأكل لحوم الكلاب والقطط[٩٥].

حاول مينو فتح طرق تجارية مع دارفور ودنقلة ومكة ، لأنه كان يؤمن بأن الحملة سيكتب لها البقاء في مصر ولذلك لم يكن يطلب جنوداً بقدر ما كان يطلب زرع أشجار الفاكهة كالبرقوق والخوخ(٩٦).

وفي أبريل ١٨٠١ انتشر الطاعون بدرجة خطيرة وكتب الجبرتي أنه كان يموت بالطاعون من الفرنسيين بالقلعة ثلاثون أو أربعون كل يوم ينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على الأخشاب فيدفنونهم جماعات في حفرة عميقة خارج باب القرافة . وأكد جومار ذلك باعتباره شاهد عيان عن انتشار الوباء فذكر أن فتكه كان ذريعاً مات بعشرة آلاف شخص في القاهرة وسجل الطبيب لاريه أن الوباء قتل العديد من الناس واستفحل في الصعيد ومات كل يوم في أسيوط ما يقرب من الستمائة شخص(٩٧).

وفي عام ١٨٠١ رحلت الحملة عن مصر وجاءت نهايتها مؤلمة للفرنسيين الذين خلفوا وراءهم الذكريات المفزعة من مرض وجوع وجنون وحوادث انتحار.

نظراً لكثرة أعداد القتلى والموتى من الفرنسيين كتب هاويه Hauet . أحد ضباط الحملة الفرنسية - بعد عودته لفرنسا ملاحظاته عنهم فنشر قوائم وبيانات وإحصاءات عن مصائر العديد من العسكريين الذين فقدوا أثناء المعارك العسكرية أو ماتوا بسبب الاوبئة والأمراض المختلفة مؤكداً أن هدفه هو الرد على تساؤلات عائلاتهم حول مصيرهم، وحتى لا تضيع تضحياتهم عن ذاكرة فرنسا (٩٨).

وأخيراً سجل القادة الفرنسيون أسفهم وحزنهم على رحيل الحملة التي جاءت لتساعد مصر على استعادة حضارتها على حد زعمهم .

وكتب مينو وداعاً مصر وداعاً للمسلمين " خرجنا نحمل الذكريات القاسية من بلدكم التي تحوى أجمل الآثار ولنا ذكريات مؤلمة في الصحراء ولكن المجد لنا لأننا سببنا لكم القلق وسكبنا الدماء فوق ضفافكم لن تنسى فرنسا تضحيات جنودها " .

وأضاف أماديه ريم " لقد انتهت الحملة نهاية تعسة أحاط بنا الأعداء من كل جانب ، لم يكن أمام الجيش الفرنسي سوى الرحيل " .

أما ريبو فقد سجل بحسرة أسفه لضياع فكرة مونج في تحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية وأكد أنه «لا يوجد عندي أي ضابط لا يتمنى العودة إلى فرنسا".

الهوامش

(١) روج لمشروع غزو مصر الألماني ليبينيه Leibnitz 1675 موضحاً فوائده لتجارة فرنسا مع الهند وتبنى المشروع السفراء الفرنسيون في الآستانة في القرن السابع عشر ولاسيما دي هاي De Haye والماركيز دي نوانتيل De Nointel وفي القرن الثامن عشر رحب دي شوازيل De Choiseul بفكرة غزو مصر وأثنى تاليران Talleyrand على المشروع وأصبحت الفكرة لها صفة رسمية في عهد لويس السادس عشر. كما روج قناصل فرنسا في مصر لهذا المشروع ولاسيما ماجالون Magellon كما شجع الرحالة الذين زاروا مصر على ضرورة تنفيذه.

(٢) تولى شئون مصر ١٧٠٨ - ١٧١١ .

(٣) Clement : Le Francais en Egypte, le Caire 1912, p.88

(٤) أحمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ الغني ، تقديم وضبط وتنقيح د.عبد الرحيم عبد الرحمن القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٢٣ .

(٥) إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر. القاهرة ١٩٩٢ ص ١٢٩ .

(٦) فولني : ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام ، نقلها إلى العربية إدوارد البستاني ، ١٩٤٩، ص١٠٤ .

(٧) المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

(٨) الراهب كلود لويس فورمون زار مصر ١٧٤٧ و ١٧٥٤ ووضع مؤلفاً بعنوان :
Fourmant Claude : Description historiques et geogaphique des plaines de Heliopolis et de Memphis , Paris 1775.

(٩) زار مصر ١٧٣٠، ١٧٣٤ .

(١٠) Granger , Le Sieur : Relation du voyage fait en Egypte Par Le Sieur Granger de l'annee' 1730. Paris 1765.

(١١) عصمت محمد حسن، جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي القاهرة ٢٠٠٣ ص ١٨٣ -١٨٤ .

(١٢) المرجع السابق، ص ١٧٦ .

(١٣) Olivier , G: Voyage dans l'Empire Ottoman, Egypte et la Perse fait par ordre du Gouvernement de la Repulique, PP 320- 324.

(١٤) Desgenettes,: Histoire medicale de l'arme' d' Orient par le medecin Desgenettes, Paris 1932 , p. 5.

(١٥) هنري لورانس وآخرون : الحملة الفرنسية على مصر، بونابرت والإسلام ، ترجمة بشير السباعي القاهرة ١٩٩٥ ص ٥٥ .

(١٦) Doguereau, G: Journal de l'expedition d' Egypte Publie d'apres le manuscript general avec une introductions de notes de la jonquiere Paris 1904.p. 46.

(١٧) Desgenettes: op.cit., p.8.

(١٨) Doguereau : op. cit., p.46.

(١٩) Ibid, P.49.

(٢٠) Desgenettes : op., cit., p.10.

(٢١) Miot, J : Memoires pour servir a' l'histoire de l' expediton en Egypte et en Syrie.

(٢٢) Ibid , p.19.

(٢٣) هنري لورانس : مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧ .

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) Berthier , G . Relations des compagnes du general Bonaparte en Egypte et en Syrie

(٢٦) Desgenettes op. cit.,p.22.

(٢٧) De la Jonquiere, P.G : L' Epediton D' Egypte, Paris 1930, p.39.

(٢٨) إلهام ذهني : مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦ .

(٢٩) كريستوفر هيرولد : بونابرت في مصر ترجمة محمد أنيس القاهرة ص ١٠٥ ,

(٣٠) عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحاكم في مصر القاهرة. ١٩٨٧ ص ٨٥ .

(٣١) Miot : op. cit. p. 25

(٣٢) Desgenettes : op ,cit.,pp.11-12

(٣٣) Ibid, p. 12.

(٣٤) عبد الرحمن الرافعي: مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩ .

(٣٥) كريستوفر هيرولد: مرجع سبق ذكره ص، ٨٨ ، ٨٩ .

(٣٦) هنري لورانس وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص ١٤٣ .

(٣٧) كريستوفر هيرولد: مرجع سبق ذكره ص ١١٨ .

(٣٨) De La Jonquiere: op.,cit., p.64.

(٣٩) Ibid., p. 164.

(٤٠) هنري لورنس وآخرون : مرجع سبق ذكره، ص ١٤٣ .

(٤١) De la Jonquiere : op. cit., pp. 164-165.

(٤٢) Sonnini , C: Voyage en Egypte, Paris 1793 , P. 245

(٤٣) وصف مصر دراسة جولو عن رشيد ط٣ ص ٢١١ .

(٤٤) لمزيد من التفاصيل عن مراسلات قادة الحملة وأوامرهم في القاهرة والأقاليم انظر دار الوثائق القومية - الوثائق الأوروبية. الحملة الفرنسية. محفظة (٢) (١٧٩٣ - ١٨٤٧) ١٨٠٠/٣/١٢ - ١٨٠٠/١٠/٧ .

(٤٥) Reybaud: Histoire scientifique et militaire de l' expediton Francaise en Egypte .Paris 1830-1836 t3.

(٤٦) Desgenettes : op. cit., p. 14.

(٤٧) Ibid., pp. 14-15.

(٤٨) Ibid. p. 15

(٤٩) اندريه ريمون : المصريون والفرنسيون في القاهرة ١٧٩٨ - ١٨٠١ ترجمة بشير السباعي ص ١٠٤ .

(٥٠) دار الوثائق ، وثائق الحملة الفرنسية : مصدر سبق ذكره محفظة (٢).

(٥١) عبد الرحمن الرافعي: مرجع سبق ذكره، ص ١٤١، وانظر أيضاً

La Rey, D: Relation d' expedition de l' armee d'orient en Egypte et en Syrie . Paris 1803.

(٥٢) Desgenettes, op. cit., pp. 16-31.

(٥٣) Ibid., t2 pp. 159-184.

(٥٤) Ibid., t 2 p 129.

(٥٥) Reybaud : op., cit p. 373.

(٥٦) كريستوفر هرولد : المرجع السابق ص ١٧١ .

(٥٧) المرجع السابق ص ١٧٤ .

(٥٨) الرافعي: مرجع سبق ذكره ص ٢٣٩ .

(٥٩) المرجع السابق ص ٢٧١ ص ٢٧٣

(٦٠) هيرولد : مرجع سبق ذكره ص ١٣٧ .

(٦١) دار الوثائق ، وثائق الحملة الفرنسية مصدر سبق ذكره محفظة (١٤).

(٦٢) هنري لورانس: مرجع سبق ذكره ص ١٧١ .

(٦٣) Miot : op. cit., p. 281.

(٦٤) Desgenettes : op. cit., pp 18-21.

(٦٥) هيرولد: مرجع سبق ذكره ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٦٦) Desgenettes : op. cit ., pp .18-21.

(٦٧) Menou au General Vial commandant a' Mansoura 26 Brumaire an7.

(٦٨) Vial a' Kleber 14 Sept. 1799.

(٦٩) Desgenettes : op . cit., p. 23.

(٧٠) Berthier : op. cit., pp 166-167.

(٧١) Ryme, A : op. cit., pp. 93-95.

(٧٢) La Jonquiere : op. cit., 3 p 215.

(٧٣) الرافعي : مرجع سبق ذكره، ص ٤٩٦ .

(٧٤) Desgenettes: op. cit., p.23.

(٧٥) محمود الشرقاوي : مصر في القرن الثامن عشر ، القاهرة ص٨٣ ، ٨٤ .

(٧٦) Reybaud : op. cit., pp. 372- 394.

(٧٧) Goby, Jean : les quarantes editions traductions et adaptations du .77 voyage dans le basse et le haute Egypte de vivant Denon, le Caire 140 1952, p.140

(٧٨) إلهام ذهني : مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٣ .

(٧٩) Miot , J : op. cit., p 41.

(٨٠) Reybaud : op. cit , 3 p. 292.

(٨١) Ibid., PP 321 - 333

(٨٢) Ibid., p 314.

(٨٣) Desgenettes : op. cit., p .55.

(٨٤) Ibid

(٨٥) Ibid

(٨٦) الرافعي : مرجع سبق ذكره، ط ٢، ص ٧٤ .

(٨٧) هنري لورانس ، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٣ .

(٨٨) المرجع السابق، ص ٤٣١

(٨٩) المرجع السابق، ص ٤٢١ .

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

(٩١) Miot , J: op. cit., p. 41.

(٩٢) Reybaud: op . cit., t 8 P 395.

(٩٣) هيرولد : مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٤ .

(٩٤) المرجع السابق، ص ٣٨٥ .

(٩٥) Reybaud : op. cit., p 178.

(٩٦) هيرولد : مرجع سبق ذكره، ص ٣٨٥ .

(٩٧) الرافعي: مرجع سبق ذكره، ط ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٩٨) الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨-١٨٠١ مذكرات ضابط من جيش الحملة "هويه": دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ٢٠٠٥ .